من أعراض مرض القلب

كتبه غريب بتاريخ السبت ١٣ ذي الحجة ١٤٤٢

نواصل مع تدبر آيات البقرة التي بدأنا في المقال السابق, راجين من الله عز وجل أن يعلمنا ما جهلنا, وينفعنا بما علمنا آمين

في المقال السابق وقفنا مع أولى صفات المنافقين الذين يدّعون الإيمان بأفواههم, وهم في الواقع كفار, والتي كانت خداعهم لأنفسهم, واليوم سوف نكتشف بقية صفاتهم, وذلك من خلال مدارسة قوله سبحانه:

‹ في قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُم عَذابٌ أَليمٌ بِما كانوا يَكذِبونَ۝وَإِذا قيلَ لَهُم لا تُفسِدوا فِي الأَرضِ قالوا إِنَّما نَحنُ مُصلِحونَ۝أَلا إِنَّهُم هُمُ المُفسِدونَ وَلٰكِن لا يَشعُرونَ۝وَإِذا قيلَ لَهُم آمِنوا كَما آمَنَ النّاسُ قالوا أَنُؤمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ أَلا إِنَّهُم هُمُ السُّفَهاءُ وَلٰكِن لا يَعلَمونَ۝وَإِذا لَقُوا الَّذينَ آمَنوا قالوا آمَنّا وَإِذا خَلَوا إِلىٰ شَياطينِهِم قالوا إِنّا مَعَكُم إِنَّما نَحنُ مُستَهزِئونَ۝اللَّهُ يَستَهزِئُ بِهِم وَيَمُدُّهُم في طُغيانِهِم يَعمَهونَ۝أُولٰئِكَ الَّذينَ اشتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدىٰ فَما رَبِحَت تِجارَتُهُم وَما كانوا مُهتَدينَ ›

البقرة: ١٠-١٦

ولنبدأ على بركة الله المدارسة من خلال

- مرض القلب
- أعراض مرض القلب
  - اختلال الموازين
  - الكبر

مرض القلب

بدأت الآيات بقوله سبحانه:

‹ في قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُم عَذابٌ أَليمٌ بِما كانوا يَكذِبونَ ›

البقرة: ١٠

فهؤلاء الذين يقولون آمنا وليسوا بمؤمنين, الذين يخادعون الله والذين آمنوا, وهم في الواقع إنما يخادعون أنفسهم, يعانون من مرض في قلوبهم, والذي يزيدهم الله فيه والعياذ بالله.

إن هذا المرض من كسبهم, بمعنى هم من سعى فيه, ولذلك كانت العقوبة الفورية أن يزيدهم الله فيه, فلا يشفون منه والعياذ بالله.

كما أن لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون, فدينهم يقوم على الكذب, فهم يكذبون حين يحرفون الإسلام, وهم يكذبون حين يدعون بأنهم مؤمنين.

لا شك أن المؤمن الذي لا يأمن مكر الله, يتساءل ما هي أعراض مرض هؤلاء, حتى يتأكد من سلامته منها, أما الكافر فهو غير مهتم أصلا لا ينتفع بالنذارة والعياذ بالله

أعراض مرضهم

بعد أن ذكر الله أنهم مرضى القلب, شرع ربنا سبحانه في بيان أعراض مرض هؤلاء حتى يعرف المؤمن إن كان خاليا من هذه الأعراض فيحمد الله على ذلك, أو مصابا ببعضها فيسعى في تزكية منها

ذكر ربنا عرضين من أعراض مرض هؤلاء سوف نتناولهما فيما يلي بإذن الله

اختلال الموازين

قال ربنا عز وجل:

﴿ وَإِذا قيلَ لَهُم لا تُفسِدوا فِي الأَرضِ قالوا إِنَّما نَحنُ مُصلِحونَ ﴾

البقرة: ١١

فأول أعراض مرض هؤلاء أنهم يعتقدون أنهم المصلحون, الذين يسعون في الصالح العام, ويسهرون على مصلحة الأمة, وذلك بحسب الاعتبارات الدنيوية

ولنعد لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لنرى نموذجا من هؤلاء الذين يدعون أنهم مصلحون.

لقد كان المسلمون قلة في المدينة, يشاركهم فيها اليهود والمشركين العرب, وقد كان اليهود يهيمنون على اقتصاد المنطقة, كما أنهم أصحاب شوكة حينها, وكانت المدينة محاطة بالعرب المشركين من كل جانب.

فكانت المصلحة بحسب هؤلاء تقتضي بناء تحالف قوي مع اليهود أصحاب المال والسلطة, وفتح قنوات اتصال مع مكة, حتى تخفف من وطئ ضربتها المرتقبة للمدينة حتى يتم إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

كما أنه من المصلحة مجاراة الذين آمنوا في ادعائهم الإيمان حتى لا يخسروا مكانتهم وسط مجتمع المدينة وإن كان باعتبارهم مجموعة من السفهاء جلبت الدمار والخراب للمدينة وذلك بكونها اعتنقت الإسلام وصارت أعداء لجميع أهل الأرض.

أي أن أول أعراض مرضهم هي اختلال ميزان الإصلاح عندهم, فهم يعتبرون الإصلاح مرتبط بمكاسب مادية المجردة, وذلك بمسايرة الواقع ومحاولة الاستفادة منه أكبر استفادة ممكنة

والواقع أنهم مفسدون فعلاً, ولكن لا يشعرون كما أخبر ربنا عز وجل:

﴿ أَلا إِنَّهُم هُمُ المُفسِدونَ وَلٰكِن لا يَشعُرونَ ﴾

البقرة: ١٢

فالإصلاح ليس بالحرص على تحصيل المكاسب الدنيوية, وإنما بالحرص على تحصيل المكاسب الأخروية, أي إصلاح القلب والعلاقة مع الله عز وجل, ولو اقتضى الأمر مخالفة أهل الأرض وعداوتهم.

فليس من الإصلاح مجاراة الكفار واتباعهم, ولو كانت الأرض كلها كافرة, بل الإصلاح الوقوف في وجه الكفر ولو كلف الأمر بذل المال والأنفس.

الكبر

العرض الثاني من أعراض مرضهم هو الكبر والذي يتجلى في قول الله تعالى عنهم:

﴿ وَإِذا قيلَ لَهُم آمِنوا كَما آمَنَ النّاسُ قالوا أَنُؤمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ أَلا إِنَّهُم هُمُ السُّفَهاءُ وَلٰكِن لا يَعلَمونَ ﴾

البقرة: ١٣

يظهر جليا من جوابهم الكبر, حيث أنهم اعتبروا المؤمنين مجموعة من السفهاء, وهذا يعني أنهم هم أهل الرشاد

إن هذا الكبر الذي يظهر في هذا الجواب هو تغطية لخوَرٍ نفسي, فهم غير قادرين على تحمل أعباء الإيمان الثقيلة على النفس وما تقتضيه من تضحية, وذلك لتعلقهم بالدنيا, فيلجأون إلى اتهام المؤمنين بالسفه والتهور.

من المثير للاهتمام أنهم غير عالمين بما هم فيه من السفه، وهذا يعني أنهم فعلا صدقوا تصورهم أن المؤمنين مجموعة من السفهاء، كما يعني أنهم لا يعيرون اهتماما لغير الدنيا فهي ميزانهم كما سلف ورأينا

اتهام المؤمنين بالسفه يسترونه تماما عند لقاء المؤمنين، ويتظاهرون بكونهم مؤمنين كما أخبر ربنا عز وجل عنهم:

﴿ وَإِذا لَقُوا الَّذينَ آمَنوا قالوا آمَنّا وَإِذا خَلَوا إِلى شَياطينِهِم قالوا إِنّا مَعَكُم إِنَّما نَحنُ مُستَهزِئونَ ﴾

البقرة: ١٤

كما أنهم عند لقاء شياطينهم يؤكدون أنهم معهم ويعتذرون عما قالوه للمؤمنين بكونهم كانوا يستهزئون.

والواقع أنهم هم المُستهزإ بهم، فهم مُحتقرون من طرف الجميع حتى من أنفسهم، ومع ذلك لا يتغيرون لأن الله يمدهم في طغيانهم كما قال:

﴿ اللَّهُ يَستَهزِئُ بِهِم وَيَمُدُّهُم في طُغيانِهِم يَعمَهونَ ﴾

البقرة: ١٥

فيا لخسارة هؤلاء، خوف، وقلق، وترقب في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة والعياذ بالله.

إن وصف هؤلاء هو قوله سبحانه:

﴿ أُولئِكَ الَّذينَ اشتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدى فَما رَبِحَت تِجارَتُهُم وَما كانوا مُهتَدينَ ﴾

البقرة: ١٦

فهم أعرضوا عن الهدى الذي أتاهم، واشتروا الضلالة، وما أكثر من ينطبق على هذه الوصف في زماننا، حيث يعرض أحدهم عن وحي الله عز وجل قرآنا وسنة، ويطلب الهداية في غيره، والعياذ بالله من حال أهل النار.

القلق النفسي والضلال الذي يعيش فيه هؤلاء سيكون موضوع المقال القادم من هذه السلسلة بإذن الله.